الأبحاث

Al-Abhath

مجلّة تصدرها كلّيّة الآداب والعلوم

JOURNAL OF THE FACULTY OF ARTS AND SCIENCES

الجامعة الأميركيّة في بيروت

American University of Beirut

بيروت – لبنان

Beirut – Lebanon

BRILL

Al-Abhath

Editors
Ramzi Baalbaki, *Margaret Weyerhaeuser Jewett Chair of Arabic, AUB*, Beirut, Lebanon
Bilal Orfali, *Sheikh Zayed Chair for Arabic and Islamic Studies, AUB*, Beirut, Lebanon

Associate Editor
Maher Jarrar, *AUB*, Beirut, Lebanon

Book Review Editor
Lyall Armstrong, *AUB*, Beirut, Lebanon

Copy Editor
Fatme Chehouri, *AUB*, Beirut, Lebanon

Editorial Board
Tarif Khalidi, *AUB*, Beirut, Lebanon
Ferial J. Ghazoul, *AUC*, Cairo, Egypt
Wadad Kadi, *University of Chicago*, Chicago, Illinois, USA
Alexander Knysh, *University of Michigan*, Ann Arbor, Michigan, USA
Chase Robinson, *Smithsonian Institution*, Washington, DC USA
Monique Bernards, *Institute for Advanced Arabic and Islamic Studies*, Antwerp, Belgium
Julia Bray, *University of Oxford*, Oxford, UK
Beatrice Gruendler, *Freie Universität Berlin*, Berlin, Germany
Abdessalem Mseddi, *Tunisian University*, Tunis, Tunisia

Volumes published in this journal are listed at brill.com/alab

الأبحاث

Al-Abhath

Journal of the Faculty of Arts and Sciences
American University of Beirut, Beirut, Lebanon

Volume 68 (2020)

BRILL

LEIDEN | BOSTON

INFORMATION FOR AUTHORS AND PUBLISHERS

Manuscripts: *Al-Abhath* encourages the submission of articles written in English or Arabic dealing with Arab and Middle Eastern studies. Manuscripts submitted to the journal may not be or have been published or submitted elsewhere. Submissions are subject to peer review that maintains the anonymity of authors and reviewers. A decision will be reached as quickly as possible, but *Al-Abhath* **is not responsible for delays in the decision process.** *Al-Abhath* is not responsible for the return of manuscripts to authors. Upon publication, authors will receive one copy of the issue in which it appears and a PDF version of their article.

Articles to be considered for publication must be submitted on a CD for PC or by e-mail attachment to alabhath@aub.edu.lb. The text must be in Microsoft Word for English or Arabic, double-spaced. Manuscripts must include a cover page containing the title, author's name, and an abstract of no more than 150 words. **Articles not conforming to these specifications will be rejected without review.**

Style: Text and reference note style must conform to the *Chicago Manual of Style.* Transliteration follows the style of the *International Journal of Middle Eastern Studies.* Authors who wish correct modern Turkish orthography to appear in their texts are responsible for providing it.

Send manuscripts to:

Al-Abhath
American University of Beirut
College Hall, 4th Floor
P.O. Box 11-0236
Riad El-Solh, Beirut 1107-2020, LEBANON

Books for review: Publishers who wish to have their titles considered for review should send review copies to The Editor, Al-Abhath, American University of Beirut, P.O. Box 11-0236, Riad El-Solh, Beirut 1107-2020, Lebanon.

For more information: Contact us via email at alabhath@aub.edu.lb

Copyright 2020 by Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands.
Koninklijke Brill NV incorporates the imprints Brill, Brill Hes & De Graaf, Brill Nijhoff, Brill Rodopi, Brill Sense, Hotei Publishing, mentis Verlag, Verlag Ferdinand Schöningh and Wilhelm Fink Verlag.
All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, translated, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior written permission from the publisher.
Authorization to photocopy items for internal or personal use is granted by the publisher provided that the appropriate fees are paid directly to Copyright Clearance Center, 222 Rosewood Drive, Suite 910, Danvers, MA 01923, USA. Fees are subject to change.

Sebastian Günther and Dorothee Pielow, eds., *Die Geheimnisse der oberen und der unteren Welt. Magie im Islam zwischen Glauben und Wissenschaft,* xlii + 644pp. Islamic History and Civilization: Studies and Texts 158. Leiden and Boston: Brill, 2018. $179. Hardback. ISBN 978-90-04-38716-4.

انطلق محمّد عابد الجابري في مشروعه الشهير في *نقد العقل العربيّ* من افتراضٍ مركزيّ مفادُه أنّ الحضارات العربيّة واليونانيّة والأوروبيّة الحديثة، حضارات تولي العقل مساحةً أكبر ممّا توليه إيّاها حضارات وثقافات أخرى، وهو ما "سمح بقيام معرفة علميّة أو فلسفيّة أو تشريعيّة منفصلة عن الأسطورة والخرافة،" وذلك على العكس من حالة الحضارات الصينيّة والهنديّة والبابليّة على سبيل المثال، حيث "يشكّل السِّحرُ، أو ما في معناه، وليس العلم، العنصرَ الفاعل والأساسيّ" في المسار الفكريّ والثقافيّ لهذه الحضارات. غير أنّ الجابري نفسه أقرَّ بأنّ العقل لا يُمارس في الثقافات التي صنّفها منتجةً للفلسفة والعلم – والحضارة العربيّة-الإسلاميّة منها على وجه الخصوص – "السيادةَ المطلقة، بل درجةً من السيادة لا تقلّ عن تلك التي كانت للسِّحر أو غيره من ضروب 'التفكير' اللاعقليّ في الحضارات التي لم تُنتِج المعرفة العلميّة والفلسفيّة، المنظَّمة المعقلَنة." ولم يكن غريبًا إذّاك أن يتصيّد ناقدُ الجابري الأشهر، جورج طرابيشي، هذا الافتراض تحديدًا ليُفرد بالمناقشة مقاطعَ مطوّلةً من ردّه على الجابري يتناول فيها حضور "اللا-معقول" بين ظهراني "حضاراتِ العقل" تلك. ولم يكن طرابيشي طامحًا إلى قلب افتراض الجابري وعكس طرفَيه، بل سعى إلى التدليل على أنّ الفكر الإنسانيّ الذي حلّ في كلٍّ من هذه الحضارات المتقدّمة الذكر قد سمح بتجاور المعقول واللا-معقول في سياق فكريّ واحد وفي صورة قد تبدو مستهجنةً لكثيرين ما زالوا – بتأثير من النزعات الحداثويّة والعلمويّة التي أقامت قطيعةً فظّةً مع ما قبلها ودمغته جُزافًا بوصمة "اللا-عقلانيّة" – يصرّون على قسمةٍ ثنائيّة شديدة الاستقطاب بين العقل واللا-عقل.[1]

ويبدو أنّ حقول الدراسات العربيّة والإسلاميّة لم تسلَم من النزعة "الجابريّة" تلك في إيلائها الشأن الأكبر للبحث في "العلوم العقلانيّة" (أوسع من العقليّة محضًا) عند العرب والمسلمين دونًا عن موروثاتهم الأخرى التي تطوي عن التعريفات السائدة للمناهج العقليّة كشحًا، ومنها على سبيل المثال موضوع الكتاب الذي بين يدَي للمراجعة: السِّحر والكهانة وما ساوَقها من المعارف ممّا اصطلح على تسميتها بـ"العلوم الغامضة أو الخافية أو الغريبة" (okkulte Wissenschaften, verborgene Wissenschaften, Geheimwissenschaften) (الصفحتان 8 و39). والكتاب مجموعة من الأبحاث حرّرها ونشرها مؤخّرًا سيبستيان غونتر ودوروتيه بيلوف بالألمانيّة وصدرت

1 راجع: محمّد عابد الجابري، *تكوين العقل العربيّ* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2009)، 17-18؛ وجورج طرابيشي، *نقد نقد العقل العربيّ* (بيروت: دار الساقي، 1996)، 35، 46-56.

بعنوان *أسرار العالَم الأعلى [الظاهريّ] وأسرار العالم الأسفل [الباطنيّ]:*[2] *السِّحرُ في الإسلام بين الاعتقاد والعلم*.

موضوع البحث مستجدّ في قائمة المنشورات الكثيرة التي قدّمها غونتر لمكتبة الدراسات العربيّة والإسلاميّة، ولكنّ زميلته في تحرير الكتاب سبقَ لها العمل والنشر في هذا الموضوع منذ سنوات طويلة وهي من المشاركين في الأبحاث حوله.[3] وتضمّ قائمة المشاركين في العمل مجموعةً من الباحثين أغلبهم من المختصّين في هذا الشأن ومن المطّلعين على الأدبيّات الخاصّة به باللغات العربيّة والفارسيّة والكرديّة والتركيّة وغيرها. وأغلب المساهمات التي يضمّها الكتاب نتاج ورشة بحثيّة عقدَها المحرّر غونتر وبيلوف في جامعة غوتنغن في ألمانيا العام 2012، وخُصِّصت أبحاثها لمناقشة موضوعة السِّحر تحديدًا في الثقافة العربيّة-الإسلاميّة. والجهد الذي بذله المحرّران في إخراج هذه الأبحاث على الصورة التي نجدها في الكتاب واضح وجليّ، إن لجهة حُسن ترتيب موضوعات المقالات في أقسام موضوعيّة واضحة، أو لجهة تزويد الكتاب بالمقدّمات والملاحق والفهارس التي ستجعل منه عملًا مرجعيًّا في مجاله. وسيكون لهذه المجموعة من الأبحاث مستقبلًا الدور الملحوظ في تقدّم هذا الحقل البحثيّ الذي لا يزال "غامضًا" في غير جانب منه، ومبهَمًا إلّا على نفرٍ قليل من الباحثين المهتمّين به.

بدايةً، ثمّة تعليقان أساسيّان حول عنوان الكتاب ينبغي التعريج عليهما قبل عرض الأبحاث موجزةً. الأوّل يتعلّق بعبارة "السِّحر في الإسلام،" إذ يبدو أنّ هذا الاستعمال تصويب لبعض ما يرد في متن الكتاب بعنوان "السِّحر الإسلاميّ" (انظر الصفحات، 30، و50، و61، وقارن بالتنبيه الذي يذكره المحرّران حول هذا المصطلح في الصفحة 8)، ذلك أنّ نسبة السِّحر، أو ضروب منه، إلى الإسلام مسألة إشكاليّة تأخذ البحث إلى ضرورة تحديد الموقف الإسلاميّ من السِّحر، وهذا مختلف عن مقاصد الكتاب الذي ينطلق من التسليم بأنّ ضروبًا وفنونًا من السِّحر كانت، ولا تزال، موجودةً ومعروفةً في المجتمعات الإسلاميّة قديمًا وحديثًا، مهما اختُلف في تحديد الموقف منها، وهدف الكتاب هو الإضاءة عليها بناءً على ما كتبه بعض علماء المسلمين عن المسألة. وربّما يكون عنوان "السِّحر عند المسلمين" أفضل الاختيارات في مثل هذه الحالة، إذ لا يختلف الباحثون على أنّ جمعًا من المسلمين وعلمائهم، لا سيّما في الفترات المتأخّرة، مارسوا علوم السِّحر والكهانة ونظّروا لها، وهو ما جعلَ محرِّرَي الكتاب يعتبران أنّ معرفة المسلمين بفنون السِّحر حتّى القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ كانت متقدّمةً إلى الحدّ الذي بَوَّأَ السِّحرَ مكانتَه المعترَف بها بين العلوم والمعارف التي تعاطاها المسلمون (الصفحة 74، مع تحفُّظ على استخدام عبارة Kanon der islamischen Wissenschaften هنا). وكما نقرأ في

2 العنوان بالألمانيّة ترجمة لعبارة ترد في كتاب *السرّ المكتوم في مخاطبة النجوم* لفخر الدين الرازيّ (ت 607هـ/1209م) وقد نقلتُها كما أثبتها المحرّران (الصفحة 84)، وما بين معقوفين [ ] إضافة تأويليّة منّي.

3 من ذلك أطروحتها للدكتوراه عن بعض أعمال أحمد بن عليّ البونيّ (ت 622هـ/1225م) التي تدور حول السحر والتنجيم (انظر عن البونيّ الصفحات 85-90 من الكتاب المُراجَع):
Die Quellen der Weisheit: Die arabische Magieim Spiegel des Uṣūl al-ḥikma von Aḥmad Ibn ʿAlī al-Būnī (Hildesheim: Olms, 1995).

الكتاب (الصفحات 74-77) قد يكون المؤرّخ التركيّ طاشكبري زاده (ت 968هـ/1561م) أبرز من أثبت هذا الأمر، إذ عدّد فنونًا كثيرةً من السِّحر وما كُتب فيها، وصنّفها في فروع العلم الطبيعيّ.[4]

والتعليق الثاني يرتبط بمفردة Glaube الألمانيّة التي يُمكن ترجمتها إلى العربيّة بـ"إيمان" أو "اعتقاد،" والأفضل، في ما أرى، ترجمتها هنا بـ"اعتقاد" بما للكلمة من معنًى عامٍّ يدلّ على انعقاد القلب على أمرٍ ما واطمئنانه إليه، من غير أن يؤشِّر ذلك إلى أيِّ بُعد دينيّ بالضرورة كما هي الحال مع مفردة "إيمان" التي تبتَدِر الذهنَ بمدلول دينيّ، وإن كانت لا تبتعد لغةً عن المفردة الأخرى.[5] وعطفًا على هذه الملاحظة، فإنّه يمكن توجيه نقدٍ إلى استحضار مفردة "العلم" في الجزء الثاني من العنوان، إذ توحي الصيغة الحاليّة ("بين الاعتقاد والعلم") بأنّ البحث يدور حول تناقض أو تقابل بين أمرَين متغايرَين، أحدهما لا-عقليّ والآخر عقليّ، خصوصًا وأنّ المزاج الفكريّ، العربيّ والغربيّ على حدٍّ سواء، يُدْرِج السِّحر مباشرةً في خانة الأوّل ويُقصيه عن الثاني،[6] غيرَ أنّ أبحاث الكتاب تنطلق أصلًا من مغادرة هذه القِسمة وتتحاشى إسقاطها على أفهام العلماء والدارسين المسلمين الذين تعاطوا فنون السِّحر، إذ إنّها تقارِب السِّحر عند المسلمين بوصفه "مسلكًا معرفيًّا" عند بعضهم (ولا تناقِش بالضرورة قبول هذا الأمر عند كلّ المسلمين)، ممَّن عبّر عن هذه المعارف بألفاظٍ مضافة إلى مصطلح "العلم،" وذلك من قبيل "علم السِّحر" و"علم الطلسمات" و"علم العرافة" وغير ذلك من الفنون.[7]

يُفتتح الكتاب بتمهيدٍ وجيز ليوهان كريستوف بورغل (الصفحات xv-xxix) يُطلّ فيه على موضوع السِّحر في الإسلام عامّةً، ثمّ بمقدّمة مطوّلة تربو على مئة صفحة (الصفحات 3-115) بقلم المحرِّرَين وبعنوان "السِّحر في الإسلام: المبحث، التاريخ، الخطاب." وتعالِج المقدِّمة مباحث شتّى، وهي بمثابة نظرة عامّة على المباحث التفصيليّة التي تعرض لها المساهمات

4 انظر العلوم والفنون التي ذكرها طاشكبري زاده في: *مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم* (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1985)، 1/314-322، 332-339، 340-346. وقديمًا، أشارَ ابن النديم إلى نُتَفٍ من هذه المعارف بعنوان "أخبار المعزِّمين والمشعبِذين والسَّحَرة وأصحاب النيرنجات؛" انظر: *الفهرست*، تحقيق رضا تجدّد (طهران: لا دار نشر، 1971)، 369-373، 376، 379.

5 خضع مفهوم الإيمان ومصطلحه لأبحاث كثيرة؛ في سياق إسلاميّ، راجع:
Toshihiko Izutu, *The Concept of Belief in Islamic Theology: A Semantic Analysis of* Īmān *and* Islām (New York: Books for Libraries Press, 1980).
وفي السياق المسيحيّ، انظر العمل الكلاسيكيّ:
Ernst Troeltsch, *Glaubenslehre: Nach Heidelberger Vorlesungen aus den Jahren 1911 und 1912* (München; Leipzig: Duncker & Humblot, 1925).
ولإطلالة فلسفيّة على قضيّة الإيمان، راجع: كارل ياسبرز، "ما هو الإيمان الفلسفيّ؟،" ترجمة محمود يونس، *مجلّة المحجّة* 24 (2012)، 119-133.

6 انظر المناقشة القيّمة (الصفحات 34-38) عن المقاربات النظريّة الأوروبيّة التي جعلت من الدين مرحلةً وسطًا بين السِّحر والعلم.

7 يحسُنُ التنبيه هنا على أنّ الموقف الشرعيَّ والكلاميَّ من السِّحر لم يكن دومًا مُنكِرًا للتأثير الفعليّ لهذه الفنون، بل على العكس من ذلك، فإنّ هذا التحريم نابعٌ في أغلب الأوقات من كونها تؤثِّرُ سلبًا على الآخرين تحديدًا وتُسبِّبُ الضرَّر للمسحورين، وهو ما يُحرِّمُه الإسلام. وهذا موقف معرفيّ يختلِفُ عن موقفٍ آخرَ – من قبيل ما جاءت به الحداثة الأوروبيّة مثلًا – يعتقد أنّه لا تأثيرَ أصلًا لهذه الممارسات.

المختلفة في الكتاب. إلّا أنّ أهمّ ما فيها هو استعراض جملة من الآراء التي أطلقها علماء مسلمون مختلفو المشارب في موضوع السِّحر (الصفحات 43-95)، من قبيل جابر بن حيّان (ت حوالي 117ه/815م) والبخاريّ (ت 256ه/870م) وابن وحشيّة (ت بداية القرن الرابع الهجريّ/العاشر الميلاديّ) والغزاليّ (ت 505ه/1111م) وابن خلدون (ت 808ه/1406م) وطاشكبري زاده (ت 968ه/1516م) وحاجي خليفة (ت 1067ه/1657م). وقد انتقى المحرِّران مجموعة متوازنة ومتنوّعة من هذه المواقف بما يسمح للقارئ بالتعرّف على تعدّد الاتّجاهات في هذا الموضوع، والتنبّه إلى أنّها لا تصدر جميعًا عن موقفٍ واحد، رافضٍ أو مؤيّدٍ أو ممارسٍ لضروب السِّحر، وإنّما تعكس غنى المقترَبات التي قارَب بها علماء المسلمين هذه المسألة. ولا يقتصر عمل المحرّرَين على هذه المقدّمة، بل أضافا إلى الكتاب ثَبتَين قيِّمَين، غير الفهارس الفنّيّة لأسماء الأعلام والكتب والأحاديث والاصطلاحات (الصفحات 611-644)؛ الأوّل ثبت بيبليوغرافيّ (الصفحات 547-591) يحوي كلّ ما استطاع غونتر وبيلوف توثيقه من مصادر أوّليّة ودراسات وأبحاث سبقت عملهما في موضوع السِّحر عند المسلمين. ويظهر من هذا الثبت أنّ الاهتمام البحثيّ الغربيّ بهذه الموضوعة أكبر بكثير من الاهتمام العربيّ، وهذه نقطة جديرة بالمناقشة في موضعٍ آخر. أمّا الثبت الثاني (الصفحات 592-607) فتوضيحيّ يشمل المفاهيم والاصطلاحات العربيّة الواردة في أبحاث الكتاب، مرفقةً بشرحٍ موجز وترجمةٍ إلى الألمانيّة، وهو بطبيعة الحال غير مستغرق لكلّ الألفاظ والمصطلحات الداخلة في فنون السِّحر، ولكنّه أساسيّ في مساعدة القارئ على تتبّع الأبحاث في الكتاب وفهمها.

ولا يمكن مناقشة المساهمات الستّ عشرة كلّها التي يضمّها الكتاب، غير أنّه يمكن تقديم بعضها. ويجدر التنبيه أوّلًا على أنّ جلّ هذه الأبحاث معنيّ بفنون السِّحر من زاوية الممارسات "المعرفيّة" التي انتهجها بعض علماء المسلمين، أي ما يتعلّق بالمؤلّفات والأفكار والقيمة المعرفيّة والعلميّة لهذه الفنون، وليست هذه الأبحاث إذًا معنيّةً، بالدرجة الأولى، بالتلقّي الشعبيّ والاجتماعيّ لهذه الممارسات في المجتمعات الإسلاميّة. وتنقسم الأبحاث في الكتاب إلى ستّة أقسام ومراجعة ختاميّة. القسم الأوّل مخصّص لمكانة السِّحر بين العلوم التي عرفها المسلمون، وفيه عدّة مقالات أهمّها مقالة يعرض فيها ماهر جرّار لآراء القاضي عبد الجبّار المعتزليّ (ت 415ه/1024-1025م) وموقفه الكلاميّ من السِّحر وخصوصًا لجهة قُربِه من المعجزات التي يجترحها الأنبياء دلالةً على نبوّتهم (الصفحات 119-134). وفي سياق مشابه، يلخّص محمود حجّاج (الصفحات 135-154) أبرز مواقف بعض علماء المسلمين من السِّحر كما جاءت في ما يسمّيه "الخطاب الكلاميّ-الفقهيّ." وعلى الرغم من أنّ الكتاب لا يدّعي الإحاطة الكاملة بموضوع السِّحر في الثقافة العربيّة-الإسلاميّة، إلّا أنّه يمكن السؤال عن غياب مراجعة قرآنيّة تفسيريّة مثلًا عن هذا القسم، وخصوصًا أنّ مسائل "العين" (قارن الصفحات 29-32) و"نفث العقد" وغير ذلك هي من الموضوعات التي بحثها المفسّرون طويلًا (انظر الملاحظات عن البُعد القرآنيّ لموضوع السِّحر في الإسلام في الصفحات xvi-ix، و6-7، و225).

أمّا القسم الثاني فمخصّص لمناقشة طبيعة النصوص والوثائق العربيّة التي وصلتنا في موضوع السِّحر، ويضمّ مقالتين تأسيسيَّتين للتاريخ النصّيّ للمخطوطات العربيّة عن السِّحر. ويتناول القسم الثالث مسائل التنجيم والتعاويذ والعرافة والكتابات السِّحريّة، وفيه مقالة لكريستيان ماودر (الصفحات 319-343) يعرض فيها لنصوص مختلفة تتحدّث عن مكانة الأعمال السِّحريّة في المهام التي كانت موكولةً إلى "محتسِب السوق،" وهو المنصب الذي كان صاحبُه مكلّفًا بمراقبة سَير العمل في الأسواق في المجتمعات الإسلاميّة قديمًا والتأكّد من أنّ المعاملات فيها تخضع لأحكام الشرع الإسلاميّ. ويتتبّعُ الباحث موقف تلك النصوص من أعمال السِّحر والتنجيم والمهمّة التي يجب على المحتَسِب القيام بها حيال السَّحرة والمنجّمين الذين يمارسون عملهم على الملأ في السوق. غير أنّ المقالة، على الرغم من إحكام بنيتها البحثيّة، تبدو، أوّلًا، مقالةً حول مهام المحتسِب أكثر منها عن السِّحر والتنجيم والعرافة، وثانيًا، أنّها – علاوةً على جوانبَ من مقالتَي القسم السادس – تشذّ عن سائر مقالات الكتاب في أنّها أقرب إلى مناقشة البعد الاجتماعيّ-التاريخيّ لهذه الممارسات ولا تضيء على البعد "المعرفيّ" لتلك الفنون. كما أنّ النتيجة التي يخلص إليها الباحث من أنّ أعمال السِّحر كانت تمارَس في العلن أكثر ممّا يتبادر إلى الذهن في العادة تستدعي شيئًا من التأمّل، إذ إنّها تُغفِل، في ما أرى، أنّ طبيعة تلك الممارسات نفسها ليس مكانها الفضاء الاجتماعيّ العامّ والمشترَك بالضرورة، بل ربّما هي أقرب إلى أن ترتاح إلى كونها لا تمارَس إلّا "خلف الأبواب المُغلَقة" (كما هو عنوان المقالة "Nur hinter verschlossenen Türen")، فبذلك تحافِظ على خصوصيّتها وانتشارها المنضبط بين مجموعة مختارة من العارفين بها، وبذلك أيضًا تمدُّ صاحبها بمكانةٍ أهمّ وأخطر من تلك المكانة الرتيبة العامّة التي يحوزها التاجر مثلًا في السوق، والتي لا يعسر على أيٍّ كان التوفّر عليها لو حالفه الجدّ.

والقسم الرابع مخصّص لموقع علوم الحروف والأسماء في الممارسات والمعارف السِّحريّة، وارتباطها ببعض التيّارات الصوفيّة في الإسلام. وتسهم دوروتيه بيلوف (محرّرة الكتاب مع غونتر) بمقالة في هذا القسم (الصفحات 347-371) عن دور علم الأسماء الإلهيّة في الممارسات السِّحريّة (كما في بعض نواحي علم السيمياء) مستحضرةً دور هذه الأسماء عند أهل التصوّف، وتخلص إلى أنّ الاسم الإلهيّ الذي يرد ذكره على لسان الصوفيّ يهدف إلى تحقيق نوع من ارتباط السالِك بالقيمة المعنويّة التي يختزنها الاسم، أمّا في السِّحر، فإنّ الاسم يُراد له أن يُحقّق أثرًا خارجيًّا مباشرًا في سياق الأحداث. وفي القسم الخامس مقالتان تتناولان السِّحر في الأعمال العربيّة الأدبيّة قديمًا (*ألف ليلة وليلة*) وحديثًا (روايات معاصرة)، وأظنّ أنّ هذه المقاربة الأدبيّة من أغنى ما يوفِّره هذا الكتاب إذ يُظهر أنّ هذه المساحة من التاريخ الفكريّ والثقافيّ لا يصلح الإعراض عنها لمجرَّد أنّها "غير عقليّة" أو أنّ الشرع قد نهى عنها، كما هي الحال عند أغلب الدارسين وخصوصًا العرب منهم، بل يجدر الانتباه إلى أنّها دخلت في نسيج الفكر العربيّ-الإسلاميّ في أزمنةٍ مضَت ولَبِسَت – كما يقول المحرّران (الصفحة 8) – "لبوسًا إسلاميًّا" (islamisches Gewand) أمَّن لها الاستمرار في البيئة الإسلاميّة بصور وأشكال مختلفة. وليس

الأمر منحصرًا في قبولها اليوم أو ردّها، بل في فهم دورها في صناعة الخطاب الفكريّ والثقافيّ الذي كان سائدًا قبل أن تُقصى إلى حدّ كبير من الحيّز "المعرفيّ" في الزمن الحاضر، لتبقى في إطار الممارسات الشعبيّة المستمرّة في أعمال استحضار الجنّ وفكّ المسحور وقراءة الطالع والكفّ والبلّورة والتنجيم والعرافة والتوقّعات الفلكيّة الرائجة (وهذه أعمال لا تقتصر على بلد دون بلد في زمننا، بل إنّها ما زالت شائعةً في أوساطٍ كثيرةٍ، حتّى في أشدّ المجتمعات ادّعاءً "للعقلانيّة"). أمّا القسم السادس فيمكن القول إنّه يدرس حالة "التثاقف" والتبادل التي أسهمت في انتقال المعارف والفنون السِّحريّة بين شعوب ومجموعات تشاركت مع العرب والمسلمين في المسكن والمعاش. وكما أسلفنا الذكر، فإنّ جوانبَ من مقالتَي هذا القسم تبدو مختلفةً بعض الشيء عن سائر مقالات الكتاب التي تعرض لـ"علم السِّحر" والقنوات المعرفيّة والتعليميّة والتأليفيّة التي حكمت مساره في الثقافة الإسلاميّة-العربيّة أكثر ممّا تُعالِج حضوره باعتباره ممارسة اجتماعيّة وحياتيّة.

وتُختتم مجموعة الدراسات بمقالة نظريّة لبرنارد كريستيان أوتو (الصفحات 516-546) يتناول فيها موضوع السِّحر في الإسلام من وجهة نظر الدراسات الدينيّة عمومًا. والمقاربة النظريّة في هذه المقالة تستحقّ مناقشة منفصلة ليست هذه المراجعة مكانها الأفضل، إلّا أنّ أبرز ما يمكن الإشارة إليه هو معالجة مسائل الانقطاع والاستمرار (Dis-/Kontinuitäten) والإبداع والتغيير (Innovationen, Transformationen) التي يمكن ملاحظتها في أثناء دراسة "الإسهامات العُلمائيّة الإسلاميّة" في موضوع السِّحر ("Islamische "Gelehrtenmagie)، والتي تثبت أنّ علماء المسلمين في هذا المجال، كما في غيره أيضًا، لم يكونوا مجرّد قنواتٍ ووسائطَ مرّت بها علوم الأقدمين، على اختلافها، وسُلِّمت بعد ذلك كما هي إلى غيرهم من أبناء الثقافات الأخرى، بل إنّ "تعقّلهم" لهذه المعارف والعلوم حتّم عليهم إعادة تأويلها وقولَبَتِها وصهرها في جملة العلوم والمعارف التي حظيت بعنايتهم واهتمامهم على مدى قرون عديدة وفي أماكن جغرافيّة امتدّت على مساحة كبيرة من العالم القديم.

عليّ الرضا خليل رزق
معهد الدراسات العربيّة والإسلاميّة – غوتنغن، ألمانيا
قسم اللغة العربيّة – جامعة بايرويت، ألمانيا
akro2@mail.aub.edu